المصريّون القدماء

أوّل (الحُنفـــاء)

بُنيت حنيفيّة " المصريّين القدماء "
على خمس :

- التوحيد .
- الصَــلاة .
- الزكـــاة .
- الصيــام .
- الحـــجّ .

دكتور نديم السيّار

دكتور نديم السـيّار

المصريّون القدماء

أوّل

(الحُنَفاء)

إهداء

إلى رفيقة دَرْب العُمْــر .

وأحبّ الناس وأقربهم إلى قلبى .

المرحومة نبيلة عبد الشافى إبراهيم .

شقيقتى ...

مقدّمة

- بدأ الدين بالإسلام .. واختُتِمَ بالإســـــلام .

. . . .

- وقد بدأ في مصر ـ منذ ما قبل عصور الأسرات ـ على يد النبىّ المصرىّ إدريس عليه السلام .
- وكانت تلك الديانة تُسمَّى (الصابئة) ـ كما توصَف بـ(الحنيفيّة) ـ .. وهى ذاتهـــا الـ(إســـلام) .

. . . .

- وكان قدماء المصريّين .. أوّل (المسلمين) ..

* *

نعرف أن الجرعة ـ فى هذا البحث ـ ثقيلة .. والصدمة الفِكْريّة عاصفة .. والموضوع فى حدّ ذاته جدّ خطير .

خاصّةً وأن الشـــائع لدى الناس أن أولئك "المصريّين القدماء" ، كانوا مُشركين وثنيّين لا يعرفون "الإله الواحد" .. ـ ويكفى قصّة "فرعون موسى" وحدها لتلوّث كُلّ تاريخهم ! ـ .

ولذا ، كان من الضرورى الردّ أوّلاً على هذا الإفتِراء .. الذى أشاعه وروَّج له اليهود منذ القِدَم ، ثمّ ثبَّته الجهل بالكثير من حقائق التاريخ المصرى وعدم الفهم للكثير من تفاصيل عقائدهم .

وعلى هذا قُمنا بإيضاح حقيقـة إيمانهم وتوحيـــدهم .. وذلك فى كتاب أصدرناه عام (١٩٩٥م)[١] ، بعنوان :(**قدماء المصريّين أوّل الموحِّدين**) .

ومن التعليقات على ذلك الكتاب :

- فى جريدة الأهرام (٩٥/٦/١٠ م) .. كتب الدكتور/ مصطفى محمود مقالاً ، مِمّا جاء فيه :

[كتاب "قدماء المصريّين أوّل الموحِّدين" للدكتور نديم السيّار .. كتاب يسدّ فجوة فى الثقافة الموجودة ، ويجيب عن الخطأ الشائع الذى روَّجته اليهوديّة بأن الحضارة المصريّة القديمة كانت حضارة وثنيّة ، تعبد الأصنام والآلهة المتعدِّدة ولا تعرف التوحيـــد .. وأن النبى موسى هو أوّل مَن دعا للتوحيد بين المصريّين الوثنيّين ، وأن فرعون الخروج هو "رمسيس" الملك المصرىّ الوثنىّ .إلخ

.. والكتاب يُثبت **بالدليل القاطــع** .. أن "فرعون الخروج" لم يكن رمسيس ولا منفتاح ولم يكن مصريّاً بالمرّة ، وإنّما كان سادس ملوك الهكسوس .. وأن الأنبياء (إبراهيم وإسماعيل ويعقوب ويوسف) كلّهم نزلوا مصر فى عصر الهكسوس ، وكانت دعوتهم إلى "التوحيد" إلى هؤلاء الهكسوس الوثنيّين ، وليـــس إلى المصريّين .. وأن الحضارة المصريّة "الموحِّدة" كانت نبع الحكمة الذى استقى منه "إبراهيم" أبو الأنبياء

(١) وصدرت الطبعة الثانية ، عام (١٩٩٧ م) . وتُعدّ حاليّاً طبعة ثالثة ستصدر خلال شهور .. ـ والكتاب توزيع "الأهرام" ـ .

وأبناؤه ، الديانة الإدريسيّة (الحنيفيّة) الصافية ، فقد درس إبراهيم وهو في مصر أصول الحضارة المصريّة ، وقرأ صحف النبي إدريس ، و لم تنزل عليه الرسالة إلاّ بعد ذلك وهو في سنّ الخامسة والثمانين .. وقد دخل "التوحيد" مصر على يد النبي "إدريس" ، قبــل أن يدخل الجزيرة العربيّة على يد النبيّ الخاتم محمّد (ص) بخمسة آلاف سنة .. وما أسماء "آمون ورع وبتاح وأنوبيس إلخ" إلاّ أسماء لشد موص (ملائكــة) ولكائنات من الملأ الأعلى ، وكلّهم يدين بالخضوع لربّ واحد لا إله إلاّ هو .إلخ إلخ]

كما قام سيادته بعمل حلقة في برنامجه (العلم والإيمان) عن هذا الكتاب ، وقد أذيعت في ٩٥/١٢/٢٥م

. . .

● وفي الصفحة الأخيرة من جريدة "أخبار اليوم" (٩٥/٦/٣ م) ، كتب الأستاذ/ صلاح منتصر مقالاً كاملاً حول أحــد فصول الكتاب ـ وهو الخاص بفرعون موسى ـ وممّا جاء فيه :[والبحث الذى قدّمه الدكتور نديم السيّار ، معتمد على القرآن والإنجيل والتوراة والمراجع والمنطق .. حيث يُقْــنِع مَن يقرأه بصحّة النظريّة التي توصّل إليها بالنسبة لفرعون موسى ـ وأنّه ليـس مصريّاً وإنّما من ملوك الهكسوس ـ .. وهو صاحب أقوى الحُجج والبراهين في إثباتها .]

. . .

● وانظر أيضاً المقالات التي كُتِبت عنه في : الصفحة الدينيّة بالأهرام (٩٥/٤/٧ م) .. وجريدة الأخبار (٩٥/٤/٥ م) .. وجريدة الجمهوريّة (٩٥/٥/٤ م) .. وجريدة الوفد (٢٠٠٠/٥/٢٠ م) .. وجريدة حديث المدينة (٢٠٠٠/٥/١٧ م) .إلخ

وكذلك فيمجلّة (العربي) الكويتيّة (عدد ٤٨٧ / يونيو ١٩٩٩ م) ـ من (ص١٠١ حتّى ١٠٦) ـ .إلخ

● وفي مجلّة (روز اليوسف) عدد ٣٧٥١ :[كتاب (قدماء المصريّين أوّل الموحّدين) للدكتور نديم السيّار ، الذي هو نقطة تحوُّل في مفاهيم المصريّين ، هذا الكتاب الموثّق الذي يجب أن يُقرَّر على المدارس والجامعات حتّى يعود لمصر وجهها المشرق الحضاري .إلخ إلخ]

● وفي جريدة الأهرام (٩٥/٤/٤ م) ، كتب الأستاذ سامح كريّم مقالاً جاء فيه :[.. وكتاب "قدماء المصريّين أوّل الموحّدين" للدكتور نديم السيّار ، يُثبت أن قدماء المصريّين لم يعبدوا سوى الله منذ قبــل الأسرات ، بالحُجّة والدليل .]

*

ثمّ جاء دور الحديث عن تفاصيل ديانتهم .

فكان كتابنا هذا :(**المصريّون القدماء أوّل الحُنفاء**) .

. . .

ولسوف نكتشف أن تلك الديانة المصريّة "الإدريسيّة" ، هي ذاتها ـ وبكُــلّ تفاصيلها ـ ديانة النبي إبراهيم :(الحنيفيّة) .

ولخطورة الأمر ، وحساسيته المفْرِطة ، كان لزاماً علينا أن نحاول بكُلّ الجهد أن نوفّي البحث حقّه .. زمَناً ، ودراسةً ، وحياداً .

ـ أمّا من حيث "الزمن" .. فلم يكُن بالكثير ما أنفقناه من العُمر ـ أكثر من (٢٣) سنة بـدءاً من عام ٧٩م ـ فى عمل متواصِـل .. فمثل هذا البحث ـ بتشعُّبه وتفريعاته ونُدْرة مصـادِره ـ يحتاج لأضعاف ذلك ، لولا أن للأعمار حُدود .. فليغفر الله لنا إن كان ثمّة تسرُّع أو تقصير .

ـ وأمّا من حيث "الدراسة" .

فإلى جانب العديد من المراجع ـ فى مختلَف فروع المعرفة التى يحتاجها البحث ـ .

● كان لزاماً علينا أوّلاً دراسة "اللغة المصريّة القديمة" ، فهى ركيزة أساسيّة ومِحْوَريّة ، وهو ما بدأناه ـ وما زلنا ـ منذ ما يقرب من ربع قرن .. ثمّ كانت ضرورة استِكمالها بدراسة "اللغـة القبطيّة" دراسة أكاديميّة فى أكبر المعاهد العلميّة تخصُّصاً فى هـذا المجـال ـ (معهـد الدراسـات القبطيّة) ـ .. ذلك المعهد الذى أتيح لى فيه أيضاً دراسة "اللغة اليونانيّة" و"اللغة العبريّـة" علـى أيدى أساتذتها المتخصِّصين ، وهما من ألزم الأمور لبحثنا هذا .

ـ ذلك إلى جانب ضرورة الإلمام باللغة "الأكديّة" ثم السريانيّة "الآراميّة" ثمّ السبئيّة "لغة اليمن القديمة" إلخ ـ .

● ثمّ لأن الديانة "الحنيفيّة" وثيقة الصلة بـ(الإسلام) .. لذا ، كان من الحتْم دراسة العلـوم الإسلاميّة دراسة أكاديميّة ، وهو ما تيَسَّر لنا فى جامعة الأزهر الشريف حيث أُتيـح لنـا دراسـة تلك العلوم الإسلاميّة (من تاريخ وفقه وشريعة .إلخ) على أيدى أساتذتها الأجلاّء .

ـ وقد حرصنا على الإلتحاق بالدراسة فى "الأزهر" و"معهد الدراسات القبطيّة" فى نفس الوقت ، عام ٨٩م ـ .

أمّا "الديانة اليهوديّة" ، فلم يتيَسَّر لنا دراستها إلاّ من خلال المراجع والكُتُب .

● ثمّ لأن ديانة النبى إدريس ـ كما تذكر جميع المراجع ـ كانت تسمَّى (الصابئة) .. كمـا تذكر تلك المراجع أيضاً أن هنالك طائفة من بقايا أتباع هذه "الديانة الإدريسيّة" مازالـت باقيـة فى أقصى جنوب العراق "على الحدود الإيرانيّة" ، ولأن المعلومات عن هذه الطائفـة فـى جميع المراجع ضبابيّة متضارِبة إلى جانب نُدرتها أصلاً .. لذا ، كان علينا التحرُّك لدراستهم ميدانيّاً ، فكـان السـفر للعـراق عـام ٨٥م ، حيـث أُتيـح لنـا معايشـتهم لفـترة كافيـة لدراسـة أفكـارهم ومعتقداتهم وشعائرهم .إلخ ، إلى جانب تجميع كُلّ ما تيسَّر لنا من مراجِع كُتِبَت خصّيصاً عنهم فى مختلف اللغات .إلخ

هذه بعض "الأدوات" التى اعتمدنا عليها فى "بحثنا" هذا .. والإعتماد أوّلاً وأخيراً على الهادى سبحانه .. فإنّه الحقّ ، ومُعين الباحثين عن الحقيقة .

* *

د.نديم السيّار

القاهرة/ فى أغسطس ٢٠٠٢م

﴿ ربَّنا لا تؤاخِذنا إن نسينا ، أو أخطأنا . ﴾

الباب الأوّل

إدريس

نبيّ المصريّين القدماء

هل كان للمصريّين القدماء .. (أنبيــــــاء) ؟؟

يقول تعالى : ﴿ وكم أرسلنا من (نبىّ) فى "الأوّليــــن" . ﴾ ـ الزخرف/٦

﴿ وإن من أُمّـــــة .. إلاّ خَلا فيها (نذير) . ﴾ ـ فاطر/٢٤

وفى التفسير :[يقول تعالى للنبىّ ﷺ :"إن أنت إلاّ نذير" أى إنما عليك البلاغ والإنذار .. وقوله :(وإن من أمّة إلاّ خلا فيها نذير) أى : وما فى أُمّـة خلَت (= سبَقَت) من بنى آدم إلاّ وقد بعث الله تعالى إليها النُـذُر .][1]

ويقول تعالى أيضاً : ﴿ ولكلّ أُمّــة .. (**رسـول**) . ﴾ ـ يونس/٤٧

﴿ ولقد بعثنا فى كلّ أمّـة (**رسـولا**) .. أن اعبدوا الله . ﴾ ـ النحل/٣٦

وفى التفسير :[وبعث الله فى كلّ أمّة ـ أى : فى كلّ قَرْن وطائفة من الناس ـ (رسولا) .. وكلّهم يدعون إلى عبادة الله وينهون عن عِبادة سِواه .][2]

• إذن ـ وبنَصّ القرآن الكريم ذاته ـ ما من (أمّة) من الأمم إلاّ وقد بعث الله إليها (رسول) . فما بالنا بتلك (الأمّـــــة المصريّة) .. التى كانت أقـدم (الأمـم) على الإطـلاق .. والتى يرجع تاريخها وحضارتها إلى عصور ما قبل التاريخ .. مُمتــــدّاً على مدى آلاف السنين .

. . .

لا شكّ إذن ، أن الله سبحانه قد أرسل إلى تلك (الأمّة المصريّة) .. (رُسُلاً) و(أنبياء) .

---

(١) تفسير/ ابن كثير/٣/٥٥٢ (٢) السابق/٢/٥٦٨

كما جاء ما يؤكّـــد هذا في تراث (المصريّين القدماء) أنفسهم .. إذ يذكرون أن كلّ "العلوم" ـ الدينيّة والدنيويّة ـ قد جاءتهم (وَحْيـاً من السماء) .. عن طريق (**رُسُـل**) .

يذكر د/أحمد بدوى :[كان (عِلْم) المصريّين ـ في اعتقادهم ـ مَرجِعه إلى الســـماء .. جاءهم به (**رُسُـــل**) من حُكماء الماضى .][1]

ويذكر الإمام/ محمد أبو زهرة :[بيد أنّه يجب علينا أن نعتقد أن دعوات إلى (التوحيـــد) الخالص بعبادة (إله واحد) ـ فرد صمد لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد ـ .. قد توَرّدَت على العقل المصرى .. وبعيد أن ننفى تماماً عن المصريّين فى مدى خمسة آلاف سنة ـ ازدهرت فيها حضارتهم ونَمَت ـ .. أن تكون قد وردَت عليهم عقيدة (**التوحيـــــد**) .. بدعوة من (**رســول**) مُبين .][2]

*

أمّا .. مَن هم أولئك (الرُسُـــل) بالتحديد ؟؟ .. وما هى أسماؤهم ؟؟

فليس من الحَتْم أن نجد ذلك فى الكُتُب السماويّة ـ كالقرآن الكريم ـ .

يقول تعالى :

﴿ ولقد أرسلنا (رُسُـلاً) من قبلك ..

منهم مَن قصصنا عليك .. ومنهم مَن لــــم نقصص عليك . ﴾ ـ غافر/٧٨

وفى التفسير :[ومنهم مَن لم نقصص عليك : وهُم أكثر ممّن ذُكِر بأضعاف أضعاف .][3]

ويؤكّد القرآن الكريم هذه الحقيقة فى آية أخرى :

﴿ و(رُسُلاً) قد قصصناهم عليك من قبل .. و(رُسُلاً) لم نقصصهم عليك . ﴾ ـ النساء/١٦٤

إذن .. فهنالك (رُسُـــل) عديدون لم يأتِ ذِكْرهم فى القرآن الكريم .

ولا شكّ أن منهم الكثير ممّـن أرسلهم الله سبحانه إلى (الأُمّــة المصريّة) .. على مـدى آلاف السنين فى تاريخها الطويـــــل .

. . .

ومع ذلك .. فهنالك ممّن ورد ذِكرهم فى "القرآن الكريم" .

أحد أولئك الأنبيــــاء المصريّين .

ألاَ وهو .. نبىّ الله (إدريس) عليه السلام .

﴿ واذكر فى الكتاب (إدريس) .. إنه كان صِدّيقاً (نبيّـــا) . ﴾ ـ مريم/٥٦

*

---

(١) تاريخ التربية والتعليم فى مصر القديمة/١ ١٦٠ (٢) مقارنة الأديان/١/٧ـ٨

(٣) تفسير ابن كثير/٤ ٨٦

ويذكر العُلماء أن النبى "إدريس" ...هو نفسه (**أخنوخ**) المذكور فى التوراة[١] .

● ففى كُتُب التفسير ـ على سبيل المثال ـ .

يذكر الطبرسى :["واذكر فى الكتاب إدريس" .. واسمه فى التوراة (أخنوخ) .][٢]

ويذكر الألوسى :["واذكر فى الكتاب إدريس" .. وهو (أُخنوخ) .][٣]

ويذكر البيضاوى :["واذكر فى الكتاب إدريس" .. واسمه (أخنوخ) .][٤] .. إلخ إلخ[٥] .

● وكذلك فى كُتُب "قصص الأنبياء"[٦] .. وكذلك أيضاً عند المؤرِّخين :

يذكر الطبرى :[و(أخنوخ) هو "إدريس" .إلخ .. وفى "التوراة" أن الله رفَع "إدريس" إلخ][٧]

ويذكر ابن الأثير :[و(أخنوخ) هو "إدريس" عليه السلام .][٨]

ويذكر القفطى :[وقالوا هو عند العبرانيّين إسمه (أخنوخ) .. وسمّاه الله فى كتابه المبين "إدريس" .][٩]

ويذكر ابن جُلجل :[ويذكر العبرانيّون أنّه (أخنوخ) ، وهو بالعربيّة "إدريس" .إلخ][١٠]

ويذكر ابن أبى أصيبعة :[ويذكر العبرانيّون أن (أخنوخ) هو بالعربيّة "إدريس" .][١١]

وكذلك يذكر المسعودى[١٢] والدينورى[١٣] وأبو الفِدا[١٤] وابن سعد[١٥] والكلبى[١٦] وابن العبرى[١٧] .إلخ

● وتذكر دائرة المعارف اليهوديّة :[وفى الإسلام .. النبىّ المسمَّى "إدريس" ـ المذكور فى القرآن ـ قد حقَّق المفسِّرون والشُّرّاح من أنّه (أخنوخ) المذكور فى التوراة (تك/٥:٢٢ـ٢٥) .. وقد صوَّر المسلمون صفاته وخصائصه المحفوظة فى كتاب "الهاجاداه" اليهودى ، وكما وُجِد أيضاً عند "ابن سيرا" و"يوسيفوس" .إلخ][١٨]

وفى دائرة المعارف الإسلاميّة :[إدريس : ويذهب مؤلِّفو المسلمين إلى أنّه هو (أخنوخ) المذكور فى التوراة .][١٩]

وفى دائرة معارف البستانى :[وإدريس فى العبرانيّة (أخنوخ) ، ويقول العرب أنّه هو نفْس (أخنوخ) .][٢٠]

[وسار (أخنوخ) مع الله .. إلخ] ـ تكوين/٥:٢٤

---

(١) أُنظر : سفر التكوين/٥:٢١ـ٢٤ (٢) مجمع البيان/٣/٥١٩

(٣) روح المعاني/١٦/٩٦ (٤) أنوار التنزيل/٣/١٦٣

(٥) وانظر أيضاً : الكشاف/ الزمخشرى/٢/٢٢٧ و : تفسير الفخر الرازى/٤/٣٨٧ و : الجامع/ القرطبى/١١/١١٧ و : تفسير غرائب القرآن/ النيسابورى/١٦/٥٧ و : البحر المحيط/ أبو حيّان/٦/١٩٨ و : لباب التأويل/ الخازن/٣/٢٣٤ و : تفسير النسفى/٢٣٤

(٦) أُنظر : قصص الأنبياء/ ابن كثير/١/٨٨ و : العرائس/ الثعلبى/٢٩ و : قصص الأنبياء/ ع.النجّار/٢٤ و : مع الأنبياء/ طبارة/٥٦ إلخ

(٧) تاريخ الطبرى/١/١٧٠ (٨) الكامل/١/٢٥

(٩) إخبار العلماء/ ص٢ (١٠) طبقات الأطبّاء/ ص٥

(١١) عيون الأنباء/٣٢ (١٢) مروج الذهب/١/٣٩

(١٣) الأخبار الطوال ص١ (١٤) المختصر/١/٩

(١٥) الطبقات الكبرى/١/٥٤ (١٦) الأصنام/٦٤

(١٧) تاريخ مختصر الدول/ ص٧ (18) Encyclopedia Judaica , Vol 6 , P.794

(١٩) مج١/٥٤٢ (٢٠) مج٢/٦٧١

كما أن من ألقاب النبيّ "إدريس" أيضاً .. اللقب :(**هرمس**) .

ويكتب إسمه باهيروغليفيّة :([hieroglyphs]) (هرمس)[1] .
وانتقل إلى الإغريق "اليونان" في صيغة :(ῥρομαιος) (Hermes / هيرمس)[2] .
كما انتقل إلى "الفُرس" في صيغة :(هُرمز)[3] .

ويذكر القفطي :["إدريس" النبيّ صلّى الله عليه وسلّم .. وُلد بمصر .. وسمّوه :(**هرمس**) .][4]
ويذكر ياقوت الحموى :[وحكى ابن زولاق : إلخ .. و(**هرمس**) هو "إدريس" النبيّ .][5]
ويذكر المؤرّخ الأثرى/ أحمد نجيب :[وقال المقريزى نقلاً عن صاعد اللغوى من كتاب "طبقات الأمم" : أن (**هرمس**) الساكن بصعيد مصر الأعلى .. هو (إدريس) عليه السلام .][6]
وانظر أيضاً : تفسير النيسابورى/١٦/٥٧ و : روح المعانى/ الألوسى/٦/٣٠٦ و : فضائل مصر/ ابن زولاق/١٧ و ٧٠
و : الملل والنحل/ الشهرستانى/٢/٤٥ و : دائرة معارف البستانى/٢/٦٧١
ويذكر المسعودى :[و(إدريس) النبيّ صلّى الله عليه وسلّم .. تقول (الصابئة) أنّه (**هرمس**) .][7]
ويذكر ابن حزم :[ولـ(الصابئين) شرائع يسندونها إلى (**هرمس**) ، ويقولون إنّه (إدريس) .][8]

وكان المصريّون يُلقّبونه بـ([hieroglyphs]) (عا . عا . عا . ور) .. أى :(العظيم العظيم العظيم ثلاثة)[9]

وقد انتقل هذا اللقب أيضاً إلى اليونانيّة ، فى صيغة :(τρισμεγιστος / تريس ميجستُوس) = مثلّث العظَمة[10]
وفى دائرة المعارف البريطانيّة (٥/٨٧٥) :
[the Egyptian-Greek (Hermes Trismegistos) = Hermes the Thrice-Greatest]
وتذكر أيضاً :[Hermes Trismegistos : واللقب "تريسمجستس" يعنى بالإغريقى (ثلاث عظَمات/ المعَظّم ثلاثاً) .. وهو يُشير إلى تطوُّر من المصــــرى :(aa aa / عا . عا) بمعنى (great, great) أى (greatest / الأعظم) .. وقد وُجد هذا اللقب "الكُنية" فى الهيروغليفيّة المتأخّرة .][11]
● كما انتقل هذا "اللقب الإدريسى" إلى العرب الذين اجتهدوا فى محاولة تفسيره .. فمثلاً :
يذكر ابن العبرى :[والأقدمون من اليونان يقولون أن "أخنوخ" هو (هرمس) ، ويُلقّب "طريسميجيسطيس" أى (ثلاثى التعليم) .. والعرب تسمّيه (إدريس) .][12]
ويقول ابن ظهيرة :[ومن مصر جماعة الحُكماء كـ(هرمس) ، وهو المثلّث بالنعمة :(نبى وحكيم وملِك) . وهو (إدريس) النبيّ عليه السلام .][13]
ويذكر القفطى :[هرمس المصرى : وهو الذى يسمّى (المثلّث بالحكمة) .إلخ][14]

(1) An Egyptian Hieroglyphic Dictionary , Wallis Budge , P. 445
(2) The Encyclopædia Britannica , Vol.5 , P. 875
(٣) أنظر قاموس فارسيّة د.عبد النعيم حسنين/٨٠٣ .. وفى دائرة المعارف الإيرانيّة (برهان قاطع، ص٢٣٢٥) :
[هُرْمُز وباعتقاد يونانيان نام إدريس بيغمبراست .] .. وترجمته :[وباعتقاد اليونان أنّه "إدريس" الرسول .]
(٤) إخبار العُلماء بأخبار الحُكماء ص١
(٥) معجم البلدان/٥/٤٠١
(٦) الأثر الجليل لقدماء وادى النيل ٢٣٠
(٧) مروج الذهب/١/٣٩
(٨) الفصل فى الملل والأهواء والنحل/١/٣٥
(٩) و(١٠) آلهة المصريّين بدج/٤٧٨
(11) The Encyclopædia Britannica , Vol 11 , P. 505
(١٢) تاريخ مختصر الدول ص٧
(١٣) الفضائل الباهرة ٨٥
(١٤) إخبار العُلماء/٢٢٧

هرمس
"مثلّث العظَمة"
إدريس عليه السلام

(١)

إدريس .. (المصـــــرى)

وعن كونه (مصرىّ) .. ومُرسَل من الله إلى (المصـــريّين) :

يذكر القفطى :["إدريس" النبىّ صلّى الله عليه وسلم .. قد ذكر أهل التواريـخ والقصـص وأهل التفسير من أخباره .إلخ ..وقد وُلِـــد بـ(مصـر) .][١]

ويذكر القرمانى :[و "إدريس" عليه السلام كان نبيّاً عظيماً .. وقد وُلِد بـ(مصر).][٢]

وفى دائرة معارف البستانى :[وأمّا ترجمة "إدريس" على قول العرب .. فهى أنّه كان نبيّـاً عظيماً .. وُلِـــد بـ(مصر) .][٣]

ويذكر الألوسى :[وكان "إدريس" قد وُلِـــد بـ(مصر) .][٤]

ويذكر ابن ظهيرة :[فصل فى ذِكْر مَن وُلِـــد بـ(مصر) ومَن كان بها من الأنبياء : إلخ .. ومنهم "إدريس" النبىّ عليه السلام .][٥]

ويذكر ابن اياس تحت عنوان (ذِكْر مَن كان بمصــر من الحكماء فى أوّل الدهر) :[قـال الكندى : كان بـ(مصر) من الحُكماء "إدريس" .. وقد جمع بين النُبوّة والحكمة .][٦]

ويذكر الشيخ/ عبد الوهاب النجّار :[وأقـــام "إدريس" ومَن معه بـ(مصر) .][٧]

ويذكر اليعقوبى :[إن "إدريس" .. عاش فى صعيد مصر .][٨]

ويذكر ابن جُلجل :[قال أبو معشر : وكان مَسـكنُ "إدريس" .. صعيد مصر .][٩]

ويذكر ابن أبى أصيبعة :[وعند العرب أن "إدريس" مَولـده بـ(مصر) .. وقال أبو معشر : وكان مَسـكنه صعيد مصر .][١٠]

ويذكر ابن العبرى :[والعرب تسمّيه "إدريس" .. السـاكن بصعيد مصر الأعلَى .][١١]

وفى تفسير المراغى :[وأمّا إدريس .. فهو موضع التجلّة والاحترام لدى "قدماء المصريّين" .][١٢]

. . .

❑ إذن .. لا شكّ أن "إدريس" مصـرىّ .

وقد وُلِـــد بمصر .. وعـــاش بمصر .

وتوجّه بدعوته إلى :(قدماء المصريّين) ..

*

---

(١) إخبار العلماء بأخبار الحكماء/ ص٢

(٢) أخبار الدول وآثار الأوّل ص٤٣

(٣) مج٢ ص٦٧١

(٤) روح المعانى ٣٠٧/٦

(٥) الفضائل الباهرة ص٨٥

(٦) بدائع الزهور قسم١ جـ١ ص٣١

(٧) قصص الأنبياء ص٢٦

(٨) هامش . فصوص ابن عربى ٤٥/٢

(٩) طبقات الأطبّاء ص٦

(١٠) عيون الأنباء، ص٣١-٣٢

(١١) تاريخ مختصر الدول، ص٦

(١٢) تفسير أ. مصطفى المراغى/ جـ١٧. ص٦٢

(٢)

أوّل وأقـــــدم (الأنبياء) و(الرُسُل)

☆ فأمّا عن كونه (أوّل وأقدم) الأنبيـــــاء .

. . .

يذكر ابن خلدون :["إدريس" .. هو (أقـــــدم) الأنبياء .][١]
ويذكر القرطبى :[وكان "إدريس" .. (أوّل) مَن أُعْطى النُبوّة .][٢]
ويذكر ابن سعد :[عن ابن السائب قال :(أوّل) نبىّ بُعِث .. "إدريس" .][٣]
ويذكر أيضاً :[وعن ابن عباس قال : أوّل نبىّ بُعث فى الأرض بعد آدم .. "إدريس" .][٤]
وفى دائرة معارف القرن العشرين :["إدريس" هو (أوّل) مَن أُعْطِى النُبوّة من ولد آدم .][٥]
ويذكر الطبرى :[وعن ابن اسحاق : كان "إدريس" (أوّل) بنى آدم أُعْطى النبوّة .][٦]
ويذكر عفيف طبارة :[وخُلاصة أقوال العلماء فى "إدريس" .. أنّه (أوّل) مَن نـزّل عليه الملاك (جبريل) بالوحى .][٧]

☆ وأمّا عن كونه (أوّل وأقدم) الرُسُـــــل .

يذكر ابن قتيبة :[ذكر وهب عن ابن عباس :(الرُسُــــل) .إلخ .. منهم "إدريس" .][٨]
وفى دائرة معارف البستانى :[وأمّا ترجمة "إدريس" على قول العرب .. فهى أنّه (أُرسِل) من الله نبيّاً ونذيرا .][٩]
ويذكر أبو حيّان فى تفسيره :[و "إدريس" .. (أوّل مُرسَــــل) بعد آدم .][١٠]
كما يذكر النسفى فى تفسيره :["إدريس" .. هو (أوّل مُرسَــــل) بعد آدم .][١١]
ويذكر الألوسى :["إدريس" .. هو (أوّل مُرسَــــل) بعد آدم .][١٢] .

. . .

☐ إذن .. فـ(نبـىّ المصريّين القدماء) .
كان أوّل الرُسُـــل والأنبيـــــــاء ..

▪

(١) العبر/١/٧٣٤
(٢) الجامع لأحكام القرآن/١١/١١٧
(٣) الطبقات الكبرى/١/٥٤
(٤) السابق/١/٤٠
(٥) مج١/ ص١١٩
(٦) تاريخ الطبرى/١/١٧٠
(٧) مع الأنبياء فى القرآن/٥٦
(٨) المعارف/٥٦
(٩) مج٢/ ص٦٧١
(١٠) البحر المحيط/٦/١٩٨
(١١) مدارك التنزيل/٣/٢٣٤
(١٢) روح المعانى/١٦/٩٦

(٣)

(العصــــــر) الذى عاش فيه "إدريس"

يذكر الإمام/ الفخر الرازى :[كان "إدريس" عليه السلام سابقاً على "نوح" .. على ما ثبت فى الأخبار .][١]

ويذكر ابن قتيبة :[قال وهب : إنّ "نوحاً" أوّل نبىّ نبّأه الله **بعد** "إدريس" .][٢]

ويذكر ابن كثير :[وعن عبد الله بن عمر : انّ "إدريس" .. أقدم من "نوح" .][٣]

ويذكر د.الفيومى :[وعبارة الشهرستانى تُفيد أن "إدريس" .. مُتقدِّم على "نوح" .][٤]

ويذكر ياقوت الحموى :[وحكى ابن زولاق[٥] أن "إدريس" عليه السلام .. قَبْـل "نـوح" وقبل (الطوفان) .][٦]

ويذكر ابن ظهيرة :[إن "إدريس" عليه السلام .. قبــل "نوح" و(الطوفــان) .][٧]

ويذكر القفطى :[قال ابن جُلجل : كان "إدريس" .. قبل (الطوفان) .][٨]

ويذكر ابن أبى أصيبعة :[وأمّا أبو معشر البلخى .. فإنه يذكر فى (كتـاب الألـوف) أن "إدريس" .. كان قبل (الطوفــان) .][٩]

ملاحظات :

➢ <u>هل كان "قدماء المصريّين" على عِلْم بذلك (الطوفان) وأحداثه ؟؟</u>

تُشير بعض الدلائل إلى ذلك .. ومنها :

(١) يذكر سونيرون :[قال أفلاطون[١٠] : كان "صولون" يقول : إن أحد الشيوخ من كهنة معبد "سايس" فى مصر ، قد قال له ـ عندما سأله عن أمر (الطوفان) ـ : ما من شيء عظيم أو عجيب وقع فى أىّ مجال من المجالات فى أىّ قُطر ، إلاّ وذُكِر ـ منذ أمَد طويـل ـ مكتوباً أو محفوظاً فى معابدنا .][١١]

وتُضيف "دائرة معارف الدين" عمّا تمّ فى نفس هذا اللقاء ـ تحت مادة (Flood) ـ :[وحسب قول حكماء المصريّين لصولون : إن الجنس البشرىّ سبَق أن عانَى من الفَناء والدمار بعدّة طُرُق

---

(١) تفسير/ الفخر الرازى،٤/ ٣٨٨

(٢) المعارف، ص٢١

(٣) تفسير ابن كثير،٣/ ١٢٧

(٤) فى الفكر الدينى الجاهلى ١٢٢

(٥) فضائل مصر وأخبارها ص٧١

(٦) معجم البلدان ٥/ ٤٠١

(٧) الفضائل الباهرة/٤ ١٥

(٨) إخبار العلماء، ص٦ ـ وانظر أيضاً : ص٢٢٨

(٩) عيون الأنباء، ص٣١

(10) Platon . Timée 22-23

(١١) كهّان مصر القديمة، ص١٢٤

.. وقد كان (الماء) إلخ وسيلة مُعظم هذه الكوارث .إلخ][1]

وجديرٌ بالذكر أيضاً .. أنّنا نجد فى المأثور الدينىّ أن نبىّ "المصريّين القدماء" قد تنبّأ بحدوث هذا "الطوفان" .
يذكر ابن جُلجل :[قال أبو معشر : و"إدريس" هو أوّل مَن أنذر بـ(الطوفان) .. ورأى أن آفة سماويّة تلحق بالأرض من (الماء) إلخ .][2]
ونفس هذا القول يردّده "ابن أبى أصيبعة"[3] و"ابن العبرى"[4] و"القفطى"[5] .إلخ

. . . .

(٢) كيفيّة حدوث (طوفان نوح) .. ومسبِّباته :

فى كُتبنا المقدّسة أن ذلك "الطوفان" كان له مَصدران :

- من السماء (الأمطار) .
- ومن الأرض (تفجُّر الينابيع) .

ففى التوراة :

[وصارت مياه "الطوفان" على الأرض إلخ .. فى ذلك اليوم ، إنفجَرَت كُلّ ينابيع الغمر العظيم .. وانفتَحَت "طاقات السماء" .. وكان المطر على الأرض إلخ .] - تكوين/٧: ١٠-١٢

ونفس القول فى القرآن الكريم :

﴿ ففتحنا (أبواب السماء) بماء منهمِر .. وفجّرنا الأرض عيوناً . ﴾ - القمر/١١-١٢

. . .

وفى "كتاب الموتى"[6] حديث عن (الطوفان) .. وأنّه أيضاً كان له مَصْدران : سماوىّ وأرضىّ !
بل .. ويُذهلنا أن نجد نفس التعبير القرآنى ، بنزول المطر من "أبواب" فى السماء (!!)
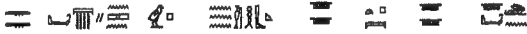
ون	عوى	بت	- عوى	كبح	-	بو	نشن	تاوى
إنفتَحَت	أبواب	السماء	- أبواب	ماء الطوفان	-	ذلك (الذى)	بسُيُروِّع (بسيول المطر)[7]	الأرضين

مَن أنبأ "المصريّين القدماء" أن للسماء .. (أبواب) ؟؟!
بل .. ومنها يتنَزّل ماء "الطوفان" .. تماماً كما جاء فى "القرآن" (!!!)

---

(1) The Encyclopedia of Religion , Mircea Eliade , Vol . 5 , P.356
(٢) طبقات الأطبّاء والحكماء/ ص٦
(٣) عيون الأنباء/ ص٣٢
(٤) تاريخ مختصر الدول/ ص٧
(٥) إخبار العُلماء/ ص٦ - وانظر أيضاً : ص٢٢٨
(6) The Egyptian Book of the dead. W.Budge, P.91-92
(٧) اللفظ :(...) .. يترجمه "والس بدج" : مَطَرٌ (مُفزِع / مُرعِب) . - كتاب الموتى/ ص٩٢
وفى قاموس د.بدوى وكيس (ص١٣٠) يُترجم : جَوّ عاصِف (مُحْتدم/ هائج فى غضب وتَقَلُّب) .
وفى قاموس فولكنر (ص١٤٠) يُترجم :(عاصفة حادّة عاصبة، زوبعة هائجة) . وأيضاً :(كارثة داهية)
• كما يحمل معنى العقاب الإلهىّ" .
فمنه :(...) (نشن . ت) .. بمعنى :(قضاء "إلهى"/ دينونة) . - قاموس فولكنر/ ص١٤٠

بل .. ويستمرّ نَصّ "كتاب الموتى" ليحدّثنا أيضاً عن (تفجُّر الماء من الأرض) ، لإحداث ذلك "الطوفان" (!!) .. أو بتعبيرهم الحرْفيّ[١] :

طا	بز
الأرض	إنشقاق

وجديرٌ بالذكْر أنّنا نجد في المأثور الدينيّ أيضاً .. ما يُشير إلى تنبُّؤ نبيّ المصريّين "إدريس" ، بهذين المصْدَرين لـ"الطوفان" :(غَرَق أرضيّ .. وغَرَق سماويّ)[٢]

(٣) على المستوَى "اللُّغوى" :

وحتّى لفظ :(طوفان) ـ الوارِد فى "القرآن"[٣] ـ .. مصرىّ الأصل[٤] .

وليس مَصْدره لُغات العراق القديم ـ (موطن نوح) ـ كالسومريّة[٥] أو الأكديّة[٦] أو البابليّة[٧] .. كما أنّه ليس لفظا "عبريّاً"[٨] .

ويذكر الأستاذ/ سلامة موسى :[وقصّة "الطوفان" التى روتها التوراة ، حافِلة بالألفاظ المصريّة التى تنمّ عن أصلها .. حتّى لفظة (طوفان) نفسها مصريّة .. وليست عبريّة .][٩]

*

➢ هل شمل (طوفان نوح) جميع الكُرة الأرضيّة ؟؟

كثيرون يحسبون أن ذلك "الطوفان" النُّوحي قد دمَّر جميع البشَر فى جميـــــع أنحاء العـالم .. ـ حتّى مصر ، بمن فيها من أتباع "إدريس" عليه السلام وحاملِى عقيدته ـ .

وهذا خطأ ركَدَ في العقول طويلاً .. ولابد له من وقْفة وإيضاح .

---

(1) The Egyptian Book of the dead. W.Budge, P.92

(٢) أنظر : فضائل/ ابن زولاق/ ص٧١

(٣) أنظر : سورة العنكبوت/١٤ ـ والأعراف/١٣٣

(٤) ملحوظة : فى المصريّة القديمة ( ) تعنى :(أرض) ـ وهى باللغة القبطيّة :(ⲧⲟ) (طو) . ـ قاموس بدوى وكيس/ ٢٧٠

و :( ) (فانْ) ـ وهو فى القبطيّة :( ) (فونْ) ـ بمعنى : صَبّ (الماء) . ـ قاموس د.بدوى وكيس/٨٢

• أى ان :( ) (طو / فان) .. تعنى :(إنصباب الماء على الأرض) .. ـ أى المطر الشديد ـ .

ـ لاحِظ قوله تعالى فى وصف "الأمطار" : ﴿ إنّا صَببنا الماء صَبّا ﴾ عبس/٢٥ ـ

وفى مختار الصحاح :[الـ(طوفان) : المطر الغالب ، والماء الغالب .. يغشَى كلّ شيء .]

ملحوظة : وهنالك فى المصريّة أيضاً ( ) (بانْ) ـ وتُنطَق أيضاً (فان) ـ بمعنى :(فاضَ/ فَيَضان) . ـ قاموس بدوى/٧٣

➢ ومن الجدير بالذِكْر أن لفظ "طوفان" فى اللغة "الآراميّة" هو :(طوبانا) . ـ مقدّمة فى فقه اللغة/ د.لويس عوض/ ص١٥٨

(٥) فهو فى اللغة "السومريّة" :(A - MA - RU آ ـ مـ ـ رو) .. بمعنى :(طوفان) . ـ ملحمة كلكامش/ د.طه باقر/٢٤٤

(٦) وهى اللغة "الأكاديّة" :(أبوبو) و(أبوبى) .. بمعنى :(طوفان) .. ـ كلكامش د.سامى سعيد الأحمد ص١٥٨ و٤٦٧ .

(٧) وفى اللغة "البابليّة" واللغة "الآشوريّة" (أبوبو) . بمعنى :(طوفان) . ـ ملحمة كلكامش/ د.باقر/٢٤٤

• وواضحٌ بُعْد كُلّ هذه الألفاظ ـ السومريّة والأكاديّة والبابليّة والآشوريّة ـ عن اللفظة القرآنيّة

(٨) لفظ "طوفان" فى اللغة العبريّة ، هو :(מבול) (مبول) ـ قاموس قوجمان/٣٩٠ (وبهذا اللفظ ورَد ذِكْر "الطوفان" فى نسخة "التوراة" العبريّة) .

(٩) مصر أصل الحضارة/ ص١١٤

(١) سبق أن ذكرنا ما قاله كهنة مصر للفيلسوف الإغريقى "صولون" ـ عندما سألهم عن أمر (الطوفان) ـ .. ويواصل أفلاطون رواية ما حدث فيقول :[ثمّ يستطرد الكاهن الشيخ فى بيانه : إن هناك كوارث متّصلة تخرّب وجه الأرض ، وانّها لتُحْدِث فى الأجناس خلْطاً وتغييراً ، وقد تهدم حضارة لتُقيم مكانها أخرى إلخ .. ولكن (مصـر) ، بخصائصها الجغرافيّة والمناخيّة .. لا تخضع لهذه القاعدة شبه العامّة .. وهذا هو السبب فى أن التقاليد القديمة ، قد حُفِظت فى هذا المكان .](١)

(٢) أثبتت الكشوف الأثريّة الحديثة ـ بما لا يدَع مجالاً لذرَّة شك ـ .. تواصُل الجنس البشرى وحضارته فى (مصـر) ، **دون أىّ انقطاع** .. منذ العصور الحجريّة القديمة ، وحتّى العصر "الحجرىّ الحديث" ـ (حوالى ٦٠٠٠ ق م) ـ مروراً بكُلّ العصور التالية .. حتّى بداية الأسرات الفرعونيّة .

فالقول إذن .. بأن (طوفان نوح) قد دمَّر العالم كلّه ، بما فيه مصـر والمصريّين .. هو قولٌ يَتَقَنْفَذُ فى حَلْق العقل .. ويأبَى أن يَزْدَرِدَه .

. . . .

وهذا الصِّدام بين حقائق العلْم الحديث ـ المؤكَّدة تأكيداً تامّاً ـ .. وبين ما رانَ فى العقول طويلاً من مأثورات ميثولوجيّة اتّخذَت شكل الثوابت الدينيّة .. لعلّ من أهمّ أسبابه تلك الأطوار التى مَرَّ بها النَّصّ "التوراتىّ" ـ بما فيه قصّة نوح ـ .

(١) فنحن نعلم أن "التوراة" التى أنزلها الله على موسى ، قد تمّ حِفْظها فى صندوق ـ عُرِف باسم "تابوت العهد"(٢) ـ .. وهذه النُسخة الموسويّة قد فُقِدَت .

ويذكر د.أحمد شلبى :[ويقرِّر التاريخ أن موسى كتب نسخة "التوراة" ووضعها مع اللوحين فى التابوت (خروج/ ٢٥ :٢١) .. ومرَّت الأيّام ، وظهر فى بنى إسرائيل كثير من الفجرة والكفَرة .. حتّى جاء عهد "سليمان" (٩٦٠-٩٢٥ ق م) ، وفُتِح "التابوت" فلم توجَد به نُسخة "التوراة" .. وقد جاء ذِكْر ذلك فى الكتاب المقدّس (الملوك الأوّل/ ٨ :٩) .](٣) .. ويستطرد قائلا :[وحدثَت بعد "سليمان" أحداث دينيّة عجيبة ، وصلَت إلى الرِدَّة وعبادة الأوثان .. وتعرَّض "بيت المقدس" للسلب والتدمير عدَّة مرّات .إلخ .. ولم يعُد هناك ذِكْر لـ(التوراة) ولا صِلَة بها .](٤)

ثمّ فى عهد الكاهن "عزرا" (٤٥٠ ق م) تمَّ جَمْع "التوراة" من شفاة الحَفَظَة(٥) .. ثمّ حدث فى هذه النُسخة الجديدة أمرٌ له أهميّة وخطورة بالِغة ، وهو إضافة "تفسيرات" حُشِيَت بين سطور النَصّ الأصلى ، ثمّ تكرَّر الأمر فى عهود لاحِقة .. ثمّ ـ وهنا مَكْمَن الخطورة ـ دخلَت هذه "الإضافات" فى صُلْب النَصّ الأصلى(٦)

• وبالنسبة لقصّة (طوفان نوح) التى تعنينا الآن ؛ لا شكّ أن تلك "الإضافات التفسيريّة" ـ التى اندمَجَت فى نَصّ "التوراة" التى بين أيدينا اليوم ـ كان لها أثرها فى الإيحاء بشُموليَّة وعالَميّة هذا (الطوفان) .

(١) كهّان مصر القديمة/ سوبيرون/ ص١٢٤

(٢) فى سفر التثنية (٩.٣١) .[وكتب موسى هذه "التوراة" .. وسلَّمها للكهنة بنى لاوى حاملى تابوت عهد الربّ .]

(٣) و(٤) مقارنة الأديان/ جـ١/ ص٢٥٤ (٥) السابق/١/٢٥٩

(٦) اليهود/ د.عبد الجليل شلبى/ ص١٦٤ ـ وانظر أيضاً : دراسة الكتب المقدّسة/ بوكاى/ ص٢٦

(٢) يُضاف إلى ما سبَق .. أثَر تعَـــدُّد (الترجَمات) للنَصّ التوراتيّ عَبْر العصور المختلِفة . فنحن نعلم أن "التوراة" قد نزلَت في الأصل مكتوبةً بالحروف "الهيروغليفيّة"[١] .. ـ وربّمـــا أيضاً باللغة المصريّة[٢] ـ .. كما أنّنا نعلم أن اليهود قد بدّلوا "لُغتهم" عِدّة مرّات عَبْر تاريخهم ـ وحسب الشعوب التى كانوا يُقيمون بينها ـ .. وعندما أعاد "عزرا" جَمْع "التوراة" كانت هذه المرّة باللغة "العبريّة" ـ (التى هى أصلاً لغة كنعان)[٣] ـ .. ثمّ فى العصر البطلمى تمّت ترجمة النَصّ العبرى إلى اليونانيّة ـ وهى الترجمة المعروفة بـ"السبعينيّة" ـ والتى يُجْمِع المؤرّخون على أنها كانت ترجمة **غيــر دقيقة**[٤] .. وهذه الترجمة ركيكة ، هى التى أُخِذ عنها عديد من الترجمات الأخرى [إلى القبطيّة (فى ٣٠٠م)[٥] ،وإلى اللاتينية (فى ٣٨٦م)[٦] ، ثمّ العربيّة (٧٥٠م) نقلاً عن النسخة اللاتينيّة[٧]] .. ومن الجدير بالذكْر أن تلك النسخة العبريّة التى أُخِذت عنها "الترجمة السبعينيّة" قد فُقِدَت[٨] .. ثمّ مع الشتات اليهودى فى البلدان المختلفة . نسى اليهود لُغتهم العبريّة[٩] .. ثمّ فى القرن التاسع الميلادى ، أعاد اليهود كتابة التوراة بالعبريّة ـ ربّما ترجمةً من النَصّ اليونانى "السبعينيّة"[١٠] ـ .

وهكذا نرى أثَر هذه (الترجمات) المتوالية ، على النَصّ الأصلى[١١] .. يُضاف إلى ذلك "العاطفة الدينيّة" لدى المترجمين التى تميل غالباً إلى التضخيم والتهويل من شأن كُلّ حدَث مقدَّس .

(٣) ثمّ يُضاف إلى ذلك كلّه دور "المفسِّرين" للنصوص المقدَّسة ، وإضافتهم للمزيد والمزيد من التضخيم والتهويل لِما يفسِّرونه من أحداث الكتاب المقدَّس .. يذكر جيمس فريزر :[وقد لعب الخيال اليهودى فى العصور المتأخّرة بحكاية (الطوفان) ، فأضاف إليها تفاصيل جديدة تميل فى الغالب إلى المُغالاة .إلخ][١٢]

---

(١) وهذا شىء بديهىّ ومنطقى .. إذ لم تكُن هنالك "حروف كتابة" فى العالَم أجمع آنذاك غير هذه "الهيروغليفيّة" ـ باستثناء الكتابة المسماريّة التى كانت تنحصِر فى منطقة العراق ـ .. علاوة على أنّها هى التى تعلّمها "موسى" على أيدى الكهنة فى مصر . ويذكر د.فؤاد حسنين علي ـ فى كتابه (التوراة الهيروغليفيّة/ ٥٧-٥٩) [فالنبى "موسى" ـ كما تذكر المصادر اليهوديّة وغيرها ـ قد وُلِد فى مصر وتسمّى باسم مصرىّ وتكلّم المصريّة وتلقّنها قراءةً وكتابةً ، وتثقّف ثقافة مصريّة (أعمال الرُسُل/٧:٢٢) إلخ .. ومن هنا نرى أن صُحُف موسى وتوراته ، لم تُدوَّن فى العبريّة ـ التى لم تكن قد ظهَرَت بعد ـ .. بل ، المصريّة القديمة .]

(٢) أنظر : التوراة الهيروغليفيّة/ ص٥ (٣) القواعد الأساسيّة فى تعليم العبريّة/ د.حمّاد/ ص٩

(٤) ويذكر سارتون :[والشيطر الأوّل من هذه "الترجمة السبعينيّة" وهو "التوراة" ، مكتوب بيونانيّة ـ يهوديّة ركيكة جداً .. ويرى المتخصّصون أن تلك اللهجة أقرب لأن تكون مصريّة منها إلى الفلسطينيّة .. وأنا لم أقرأ منها إلاّ "سفر التكوين" .. وقد أفزعتني لُغته .] ـ موسوعة : تاريخ العلم/٤/٣٧٧ ـ ويذكر د.زايد :[أمّا "الترجمة السبعينيّة" فهى ليست دقيقة ، ويُلاحظ فيها نقصاً واضطراباً عند ترجمة الألفاظ "العبريّة" إلى "الإغريقيّة" .إلخ] ـ نصوص من الشرق/ جـ١/ ص٢
ويذكر د.فؤاد حسنين على :[و"الترجمة السبعينيّة" ليست فى مجموعها دقيقة .إلخ .. حيث نجد الترجمة (حرّة) ـ غير دقيقة .] ـ التوراة الهيروغليفيّة/ ص٢٧ ـ وانظر أيضاً كتابه : التوراة عرض وتحليل، ص٥٧

(٥) و(٧) موسوعة: تاريخ الأقباط/ زكى شنودة/١/٩٣ (٦) موسوعة تاريخ العلم/ سارتون/٤/٣٨٢

(٨) أنظر : التوراة عرض وتحليل/ د.فؤاد حسنين على/ ص٦٩ ـ وانظر أيضاً : دراسة الكُتب المقدَّسة/ بوكاى ص١٨

(٩) أنظر : موسوعة تاريخ العلم/ سارتون/٤/٣٧٤

(١٠) يذكر الباحث اليهودى/ بوكاى :[إن أقدم نصّ عبرى للتوراة يرجع عهده إلى القرن التاسع بعد الميلاد .] ـ دراسة/ ص١٨ ولذا . يذكر سارتون :[ومهما يكن الأمر . فإن "الترجمة السبعينيّة" نفيسة كلّ النفاسة بالنسبة لنا .. لأنّها عُملت قبـــل تنسيق "النصّ العبرى" .] ـ موسوعة تاريخ العلم/٤/٣٧٧ ـ ويذكر أيضاً :[إن المخطوطات اليونانيّة أقـــــدم من "المخطوطات العبريّة" حتّى القديمة منها ، بقرون عديدة .. ولذا نجد علماء التوراة يرجعون إلى "الترجمة السبعينيّة" (أى .. الترجمة اليونانيّة) ، التى يجدون فيها نصوصاً عبريّة قديمة ، لا نجدها اليوم فى التوراة المكتوبة بالعبريّة .] ـ موسوعة تاريخ العلم/٤/[illegible]

(١١) يذكر الباحث اليهودى/ بوكاى :[بهذا تتّضح ضخامة ما أضافه الإنسان إلى "العهد القديم" .. وبهذا أيضاً . تتبيّن التحوّلات التى أصابت نصّ "العهد القديم" الأوّل ، من نقْل إلى نقل ، ومن ترجمة إلى أخرى .. بكلّ ما ينجم عن ذلك من "تعديـــلات" جاءت على أكثر من ألفى عام .] ـ دراسة/ ص١٩ (١٢) الفولكلور فى العهد القديم/١/١١٦

فإذا ما عُدنا إلى حديثنا عن (طوفان نوح) ـ كما وردَت قصّته فى "التوراة" ـ .. يمكننا أن نتبيَّن ـ بعد كلّ تلك الظروف التى مرَّ بها النَّصّ التوراتى ـ السبب الذى جعل الصورة تبدو وكأنه طوفان عالمىّ .. بصورة تتعارَض مع المنطِق ، بالإضافة إلى تعارُضها مع نتائج الكشوف العلميّة الحديثة ، الأمر الذى حدا بأحد مفكّرى اليهود إلى القول :[إن رواية (الطوفان) فى العهد القديم غير مقبولة فى إطارها العام ، وذلك لأن العهد القديم يعطى للطوفان طابعاً عالَمياً .إلخ .. وعلى ذلك ، ومن وجهة النظر التاريخيّة ، فيمكن تأكيد أن رواية الطوفان ـ مثلما تقدِّمها التوراة ـ .. تتناقض بشكل واضح مع المعارف الحديثة .][1]

ثمّ بقِيَت الإشارة أيضاً إلى أثَر اليهود فى نقْل هذه الصورة ـ عن طوفان نوح ـ إلى العالَم الإسلامىّ .. عن طريق ما دخَل من "الإسرائيليّات" فى كُتُب التاريخ والتفسير القرآنى وغيرها .

*

وإلى مَن لم يزل يعتقد بأن (طوفان نوح) قد أغرَق العالَم أجمع .. نسوق بعض الأسئلة البديهيّة الآتية :

(١) كيف جمَع النبى "نوح" ـ من موطِنه فى جنوب العراق ـ (كُلّ أنواع حيوانات الأرض !) ليضعها فى سفينته ؟ .. ومنها كما نعلم حيوانات لا تعيش إلاّ فى المناطِق القطبيّة الجليديّة ، فى أقصَى أصقاع سيبيريا وما بعدها أو فى الأمريكتين أو فى بلاد الإسكيمو .. وحيوانات أخرى لا تستطيع العيش إلاّ فى أجواء شديدة الحرارة كالمناطق الإستوائيّة بأفريقيا وغيرها .

ثمّ ، ما (حَجْم) هذه السفينة (!) التى تستطيع حَمْل[2] كُلّ أجناس[3] حيوانات العالَم ؟؟

> ملحوظة : تحدِّد "التوراة" أبعاد تلك السفينة على النحو التالى :[إصنَع لنفسك "فلكاً" .إلخ .. وهكذا تصنعه : ثلاث مئة ذراع يكون طول الفُلك ، وخمسين ذراعاً عرضه .إلخ] ـ تكوين/٦:١٤ـ١٥
> أى حوالى :(١٣٥ متر طول × ٢٢,٥ متر عرض)[4] ـ فقط ـ .

(٢) ما ذنب (المؤمنين) فى جميع بقاع الأرض خارج موطِن نوح بالعراق ـ فى مصر مثَلاً أو الهند إلخ ـ حتّى يُغرقهم الطوفان ويفنيهم ، ويُحمِّلهم بالعذاب مع العُصاة من "قوم نوح" ؟؟

ألا يتعارَض هذا مع قوله تعالى : ﴿ ولا تَزِر وازرة وزر أخرى . ﴾ ـ الإسراء/١٥

وفى التفسير (ابن كثير/٣/٢٨) :[أى لا يحمِل أحَد ذنب أحد ، ولا يجنى جانٍ إلاّ على نفسه .إلخ .. وهذا من عدل الله ورحمته بعباده .]

وإذا افترضنا أن جميع البشَر آنذاك كانوا هُم أيضاً عُصاة .. فما ذنبهم إذ لم تصلهم دعوة نوح ؟؟

ألا يتعارَض هذا الأمر أيضاً مع قوله تعالَى : ﴿ وما كُنّا مُعذّبين حتّى نبعث رسولا . ﴾ ـ الإسراء/١٥

وفى التفسير (ابن كثير/٣/٢٨) :[وهذا إخبار عن عدله تعالى ، وأنّه لا يعذّب أحداً إلاّ بعد قيام الحُجّة عليه .. بإرسال (الرسول) إليه .]

---

(١) دراسة الكُتُب المقدَّسة/ بوكاى/ص٢٤٥ـ٢٤٦ (٤) أنظر : قاموس الكتاب المقدّس/ ص٦٩٧

(٢) فى القرآن ، أنّه حمل من كلّ صِنْف "زوجين" (هود/٤٠) . وفى التوراة "سبعة أزواج" (تكوين/٧:٢ـ٣) .

(٣) ملحوظة : يبلغ عدد "أنواع" الحيوانات ـ المعروفة حتّى الآن ـ (**مليون**) نوع . ـ التطوّر والسجل الحفرى/ ص٣٥

والواقع أن المسألة أبسط وأوضح من ذلك بكثير .. إذ لم يكُن ذلك (الطوفان) النُّوحى إلاّ مجرَّد طوفانٍ مَحَليّ ، شمل بقعة محدَّدة من الأرض .. وهى التى فيها الأقوام الذين توجَّه إليهم "نوح" بدعوته ـ فى موطنه بالعراق (بابل) ـ .

وهذا ما ذكَره أيضاً ـ منذ القِـــدَم ـ علماء الهند وفارس .. يذكر ابن خلدون :[واعلم أن "الفُرس" و"الهند" لا يعرفون (الطوفان) .. وبعض "الفُرس" يقولون : كان "ببابل" فقط .][1]

. . .

• و"القرآن" أيضاً يؤكِّد ذلك .. وهو أن (الذين غرقوا) هُم **فقـط** .. قوم نوح ـ فى موطنه بالعراق ـ .. الذين كذَّبوه وآذوه .

﴿ فكذَّبوه .. فأنجيناه والذين معه فى الفُلك ، وأغرقنا (**الذين كذَّبوا**) . ﴾ ـ الأعراف ٦٤

﴿ فكذَّبوه .. فنجّيناه ومَن معه فى الفُلك وجعلناهم خلائف ، وأغرقنا (**الذين كذَّبوا**) بآياتنا .. فانظر كيف كان عاقبة (الـمُنْذَرين) . ﴾ ـ يونس/٧٣

أى أن العاقِبَة ـ بالغَرَق ـ كانت **فقـــط** .. على الـمُنْذَرين (الذين أنذرهم نوح ، فكذَّبوه) .

﴿ وأوحى إلى نوح .إلخ .. ولا تخاطبنى فى **الذين ظلمـــوا** ، إنّهم مُغْرَقون . ﴾ ـ هود/٣٦-٣٧

﴿ فأوحينا إليه أن اصنع الفُلك.إلخ ولا تخاطبنى فى **الذين ظلموا** إنهم مُغرَقون ﴾ ـ المؤمنون/٢٧

أى أن "الذين ظلموا" ـ من قوم نوح ـ هُم **فقـــط** .. الذين غرقوا .

ولذا ، يذكر الباحث اليهودى/ بوكاى :[وعلى ذلك ، فالقُرآن يقـدِّم كارثـة (الطوفـان) .. باعتِبارها عِقاباً نَزَلَ بشكلٍ خاص على (شعب نوح) .][2]

وهذا واضحٌ كُلّ الوضوح فى قوله تعالى : ﴿ و(قوم نوح) لَمّا كذَّبوا الرُّسُل (أغرَقناهُم) . ﴾

وفى هذه الآية القرآنيّة الأخيرة ، تفصيلة جديدة لها أيضاً دلالة هامّة .. إذ يقول تعالى :

﴿ و(قوم نوح) لَمّا كذَّبوا الرُّسُل (أغرَقناهُم) .. وجعلناهُم لـ"**الناس**" آية . ﴾ ـ الفرقان/٣٧

أى أنّه بَعْـــد الطوفان وغَرَق "قوم نوح" ، كان هُنالك (**ناسٌ**) آخرون أحيـــاء ـ فى بلادٍ ومُدُن أخرى حولهم ـ بَقوا ليتَّعِظوا مِمّا حدَثَ لـ"قوم نوح" (الذين جعَلهم الله للناس "آية" ـ أى : عِبْرَة وعِظَة ـ) .

. . .

كما أن القرآن الكريم لم يذكر إطلاقاً أن جميـــع العالَم قد غرق .. ولا توجد فيه آية ـ بل كلمة ـ واحدة ، تشير إلى ذلك .

يذكر الشيخ/ عبد الوهاب النجّار :[هل عمَّ (طوفان نوح) الكرة الأرضيّة ؟؟

والجواب أن بعض العلماء يميل إلى عمومه ، ويميل فريق آخر إلى أن (الطوفان) لم يكُ عامّاً .. بل ، طغيان الماء كان على الجهة التى يسكنها "نوح" وقومـه .. وأمّـا بقيّـة بقـاع الأرض ، فلم يعُمّها هذا (الطوفان) .إلخ

(١) العبر/ مج٢/ قسم٣/ ص١٠ ـ وانظر أيضاً : تاريخ الطبرى ١٩٢/١ و : قصص الأنبياء ابن كثير ١٢٨،٢

(٢) دراسة الكُتُب المقدَّسة فى ضوء المعارف الحديثة/٢٤٦

وعلى كلّ حال ، فالمسألة ليس فيها نَصّ من القرآن .. بل كُلّ ما فيه من هذه الناحية ، أن (قوم نوح) كفروا وعصوا الرسول .. فأغرقهم الله بالطوفان ، ونجّى نوح ومَن معه فى الفُلك .إلخ .. فالخُصوص محتمَل .. والذى أميل إليه ، أن يكون خاصّاً .][1]

ويذكر أيضاً :[إن القرآن لم يتعرَّض لعُموم كُلّ الأرض بالطوفان .. والقرآن لم يذكر إلاّ إغراق (قوم نوح) وامرأته ، ولم يذكر عموم الأرض .][2]

ويُضيف الباحث الإسلامى السورى/ عفيف طبّارة :[والظاهر فى القرآن والحديث الشريف ، يدلّ على أن (الطوفان) كان شامِلاً لـ"قوم نوح" **فقــــط** .][3]

. . . .

ويأتى دور (المؤرّخين) وأبحاثهم .

حيث وردت "قصّة الطوفـــان" فى الآداب العراقيّة القديمة (الســومريّة والبابليّــة) .. وعنهـا يذكر د.سامى الأحمد :[ولنا أن نعرف بأن (الطوفان) من الأحداث التى تركت أثراً واضحاً فى العقليّة البابليّة .إلخ .. ولابد وأنّه كان **فيضاناً مَحَلّيّاً** ، مدمِّراً غير اعتيادى ، ظلّت ذكـراه باقية بين طيّات النصوص التاريخيّة والأدبيّة التى ورَدَتنا .][4]

. . .

كما يأتى دور علم (الجيولوجيا) أيضاً ليقول كلمته .

يذكر فريزر :[فى محاضرة بـ"مجلس المعهد الملكى للأنثروبولوجيا" ، كان موضوع محاضَرتى هو القصّة المألوفة عن (الطوفان) الكبير .. وكان "هكسلى" نفسه ـ عالِم الجيولوجيا الكبير ـ قد ناقَش هذه القصّة فى مقال له ، وكان هدفه أن يبيِّن أن هذه الحكاية ـ التوراتيّة ـ التى يُنظَـر إليها بوصفها سِجلاً لحادثة "الطوفان" (الذى أغرَقَ العالَم كلّه ، وكُـلّ مـا كـان يعمـره علـى وجه التقريب من إنسان وحيوان) ، تتعارَض مع أبسط مبادئ "الجيولوجيا" .. ومن ثمّ ينبغـى رفضها على أساس أنها أسطورة .إلخ][5]

. . .

ثمّ يأتى دور (الكشوف الأثريّة) لتقدِّم القول الفصْل فى هذا الأمر .

يذكر توينبى :[و(الطوفان) الذى ورَد وصفه فى الآداب الدينيّة اليهوديّة ، أصبح ـ كما جاءت قصّته فى "التوراة" ـ كلمة مألوفة فى المجتمع الغربى .. إلى أن أتى عُلماء الآثار المعاصِرون وكشفوا عن أصل الواقِعة .. واستخلصوا أيضاً الدليل المباشِر على حدوث فيضان معيّن عنيف إلى درجة غير عاديّة ، من وجود طبقة سميكة خلّفها "الفيضان" بين الطبقات الأولى والطبقة الأخيرة التـى رسبت نتيجة لسكنى الإنسان فى مواقع طائفة من مراكز الثقافة السومريّة .إلخ][6]

---

(١) قصص الأنبياء/ ص٣٦
(٢) السابق/ ص٤٤
(٣) مع الأنبياء/ ص٧٣-٧٥
(٤) كلكامش/ ص٢٣
(٥) الفولكلور فى العهد القديم/١/٩١-٩٢
(٦) مختصر دراسة للتاريخ/١/١٢٢